

## أحمد ماطر آل زياد عسيري

يعدُّ أحمد ماطر من نجوم الفن المعاصر الصاعدين في المملكة العربية السعودية ولكنه رجل متعدد الألقاب أيضاً. فهو الطبيب العام الممارس في أحد مستشفيات أبها، ومصوّر المناظر الطبيعية التي عرضت صورته وجمعت في كتاب محدود الطباعة، وهو وجه حملة الإعلانات الأخيرة لشركة الهواتف الجوالّة السعوديّة موبايّلي. ومن ثم، هو الفنان المعاصر، أحد الفنانين السعوديين اللذين عرضت أعمالهما في معرض "الكلمة في الفن" في المتحف البريطاني وبينالي الشارقة للعام 2007. وماطر هو أيضاً قيّم على معارض فنية وأحد المشاركين الأساسيين في "حافة الجزيرة العربيّة" ("Edge of Arabia") وهو أول معرض شامل للفن السعودي المعاصر في لندن وقد افتتح في 15 تشرين الأول/أكتوبر 2008 في غاليري بروناي.

في أيار/مايو 2008، أُجريت مقابلة مع أحمد ماطر في محترفه في أبها، عاصمة عسير الواقعة جنوب المملكة العربية السعودية والمنطقة التي ترعرع ماطر فيها وطبعت هويته وإنتاجه الفني علماً بأنه يُدعى كما غيره من الفنانين الشبان المؤمنين بالأفكار نفسها "ابن عسير"، هذه المدينة المختلفة عن سائر المدن السعوديّة. فهي أكثر وعورة، تلتف طرقاتها حول كتل صخرية، وتنزيا طبيعتها بشتى الألوان بما تحفل من أشجار مزهرة. ترون فيها رجالاً يسدلون شعرهم تحت لفافة مربوطة حول رؤوسهم بطريقة يستحيل أن تشاهدها في الرياض. والهندسة المعمارية مختلفة أيضاً، هي المولودة من رحم التقاليد القديمة المدينة برسوماتها المتنوّعة وأعرافها البنيوية المختلفة لدولة اليمن المجاورة. ولا عجب في أن تكون مصادر الفن أغنى في هذا الجزء من البلاد. فوالدة ماطر مثلاً فنانة أصيلة، تبتكر تصاميم عسيريّة طبيعيّة يزدان منزلها بها.

نلتقي في محترف ماطر. إن هذا الفنان المولود في العام 1979 يتألّق نكاه ولباقة بما يمثله من مزيج التأثيرات والحركات. نادراً ما يفارق هاتفه الرقمي يده، وإن فعل، فليستبدله بسيجار كوهيبا. تارة يرتدي جينزاً وقميصاً وطوراً يلبس الثوب والغطرة والعقال. إنه يصمم مواقعه الإلكترونيّة بنفسه ويدرك أصول التسويق والترويج مع أنه يتحدر من أسرة عسيريّة تقليديّة ولا يزال يحافظ على جذوره هذه على المستوى الثقافي.

تجمع أعمال أحمد ماطر ما بين عروض الأداء والتجهيزات كما تشمل العمل على الورق والقماش الذي تبرز أهميته بفضل خبرته كسعودي وطبيب. ومن أهم أعماله المعروفة، تلك التي أجراها على صور الأشعة السينية المطروحة من المستشفى، لعلها كانت خارج مركز المرض أو موجهة إلى قسم خاطئ. وغالباً ما يرسم على هذه الصور أو يضيف إليها نصوصاً من كتاب Anatomy (التشريح) لغراي (1) أو أبياتاً شعريّة أو أقوالاً دينية. ويندرج هذا العمل ضمن مسعى إلى استكشاف العلاقة القائمة بين مفاهيم مغايرة للجسد البشري. وبهذا، يعادل بين التحليل التجريبي العلمي والتأمل الروحي. ومن خلال موضوع الأشعة السينية، يلمح إلى الصفات الإنسانية المشتركة التي تبدو جلية في إشراقات (Illuminations)، أبرز مساهماته في "حافة الجزيرة العربيّة" (Edge of Arabia).

هنري هيمينغ: كيف صممت إشراقات (Illuminations)؟

أحمد ماطر: إنها مصممة لتشبه الصفحتين الأوليين من كتاب ديني ولكن أكبر بكثير. عادة ما يستغرق الحرفيون وقتاً طويلاً على هاتين الصفحتين لأنهما أول ما يقع النظر عليه. وبدلاً من الهندسة التقليديّة، طبعت صورتني أشعة سينية لجذعي إنسان متقابلين. وحضرت الورقة باستخدام الشاي والرمّان والقهوة وغيرها من المواد المستعملة تقليدياً على هذا النوع من الصفحات. باستخدام هذه المواد، تضمن أن تكون جودة الورقة نيّرة عندما ترسم عليها – فتشع الألوان فعلاً. وهذا ما أريده من هذه اللوحة، أن تشرق. إنني أمنحها فرصة أن تبصر النور ذلك أنها تدور حول إنسانين يجريان حديثاً، نحن وهم. حول فعل إبصار النور. والواقع أن عدة أديان حول العالم تتشارك مفهوم إبصار النور وليس الظلمة.

إنها فكرة دينية بلغت الجنس البشري من أبواب مختلفة.

هنري هيمينغ: افتتح خادم الحرمين الشريفين جلالة الملك عبدالله بن عبد العزيز عاهل المملكة العربية السعودية أحدث معرض انفرادي لك. وفي خطابه، اعتبر أن الشبان مثلك يشكلون جزءاً أساسياً من مستقبل المملكة العربية السعودية. فما هو دور الفنان في المملكة العربية السعودية اليوم؟

أحمد ماطر: أن يعكس ما يجري حوله وليس ما يعرفه الناس أصلاً. وفي الوقت نفسه، من المهم ألا يسترسل فنانون اليوم لأهواء الجمهور الغربي. فعلى مدى العقد الماضي، ومع نشوء الإنترنت والفضائيات، برز عدة فنانيين سعوديين في الإعلام العالمي، وقد تكون هذه الخطوة جيدة وسيئة في آن. بدلاً من صناعة الفن السياسي أو الفني العلمي أو الديني، لا بد للفنان من أن يتطرق إلى كل ما يحيط به، فلا يقيم الحواجز الذهنية في رأسه.

هنري هيمينغ: من هم الفنانون الذين تأثرت بهم؟

باسكيات الآن، مع أنني لم أطلع على عمله إلا مؤخراً. فقد أدرج نص Anatomy (التشريح) لغراي في إحدى لوحاته تماماً كما فعلت على حين غرة في إحدى صور الأشعة السينية الأولى التي أنتجتها. أحب غاندي أيضاً مع أنه ليس بفنان ربما. تروقني قوة التعبير النابعة من القيام بأي عمل. لا أوّمن بالكلام وإنما بالفعل. لذا، أحب فورست غامب من هذه الناحية.

هنري هيمينغ: تملك إحدى أكبر المكتبات التي رأيتها في المملكة العربية السعودية، فمن أين جلبت هذه الكتب؟  
أحمد ماطر: معظمها من الإنترنت الذي قلب المقاييس كافة. تتوفر كتابات كثيرة حول الفن يمكن قراءتها على الشبكة. وبالنسبة إليّ، القراءة هي أهم عمل يقوم الفنان به لأنها تؤمن له التوازن بين عقله وجسده.

ملاحظة:

• غراي، هنري، تشريح الجسد البشري Anatomy of the Human Body، الإصدار الأول في العام 1858.

Henry Hemming

Writer and artist. He has published three books and has exhibited throughout the Middle East and Europe.

(الترجمة من الإنكليزية: ماري يزيك)